

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، وننتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و  
 سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله  
 وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن  
 محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصَحَ الإِمَّةَ و دَعَى اللهُ  
 حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى  
 يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ آل عمران: 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدي، هدي محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها  
 و كلُّ مُحدثَةٍ بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

لازلنا في حديث جبريل عليه السلام حين جاء سائلاً المصطفى، صلى الله عليه و سلم، ليعلم  
 المسلمين دينهم. و رسولنا صلوات الله عليه و سلم يجيبه. فدين الإسلام درجات.

فأعلى هذه الدرجات الإحسان، و دونه درجة الإيمان، و دون ذلك الإسلام، فكلُّ محسن مؤمن مسلم، و كلُّ مؤمن مسلم، و ليس كلُّ مؤمن محسناً، و لا كلُّ مسلم مؤمناً محسناً، و لهذا جاء في سورة الحجرات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ \* قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَامْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَنُ فِي

قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ الحجرات: ١٤

و كلمة الإحسان: هي مصدر أحسن يُحسِنُ، أي إذا أجاد و أتقن و أتى بالشيء على أحسن الوجوه و أكملها، والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة. و الإحسان مطلوبٌ في كل عمل، عبادةً كان هذا العمل أو غير عبادة.

و قد فسّر رسولنا الكريم الإحسان: بأن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فمعنى كلامه صلى الله عليه و سلم أن الإحسان هو المراقبة لله تعالى في العمل، و استحضار القلب معاني ربوبيته جل و علا، و الانفعال بها رغبة و رهبة، إذ أنها من أعظم أسباب الإخلاص، الباعث على الإتقان. و أن تعبدَه كأنك واقفٌ بين يديه تراه، و من كان كذلك فإنه يأتي بالعبادة على التمام و الكمال، و إن لم يكن على هذه الحال فعليه أن يستشعر أن الله مطلعٌ عليه لا يخفى عليه منه خافية، فيحذر أن يراه حيث نهاه، و يعمل على أن يراه حيث أمره. فقوله صلى الله عليه و سلم في تفسير الإحسان: أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، و هي استحضار قربه، و أنه بين يديه يراه، و ذلك يوجب الخشية و الخوف و الهيبة و التعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة (أن تخشى الله كأنك تراه)، و يُوجب أيضاً النصح في العبادة و بذل الجهد في تحسينها و إتمامها و إكمالها. و قوله صلى الله عليه و سلم: فإن لم تكن تراه فإنه يراك: أي تعليلٌ لقوله صلى الله عليه و سلم: أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن العبد إذا أمرَ بمراقبة الله في العبادة و استحضار قربه من عبده حتى كأنَّ العبد يراه، فإنه قد يشقُّ ذلك عليه، و فيستعين

على ذلك بإيمانه بأن الله يراه، و يطلع على سرّه و علانيته، و باطنه و ظاهره، و لا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا حقّق هذا المقام سهّل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، و هو دوام التحديق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده و معيته حتى كأنّه يراه. و مَنْ شقّ عليه أن يعبد الله كأنّه يراه، فليعبُد الله على أنّ الله يراه و يطلع عليه، فيستحي من نظره إليه، كما قال بعضُ العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

و قد نبه الحديث، على أن الباعث للعبد، على استفراغ الوسع، في رعاية جانب الله في العمل، قائم و لو كان العبد لا يرى ربّه في الدنيا، مادام ربّه يراه، و يعلم منه كل خافية و ظاهرة. فبهذه المراقبة يخلصُ البعد عبادته لله عز و جل.

و مفهوم الإحسان أوسع من أن يقتصر على العبادات فقط بل يتعداه إلى كل عملٍ عمله الإنسان. روى الإمام مسلمٌ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن الله كتب الإحسان في كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة و ليحد أحدكم شفرته و ليرح ذبيحته.

فهذا الحديث يتعرض للجانب العملي من الإحسان، فيؤكد لنا أن طلب الإحسان و الاتقان، واجب في كل ما يعمله الإنسان، و ليس قاصراً على العبادة المحضة، كما قد يخطر للبعض، و الحديث في هذا التأكيد، يتوافق مع ما جاء من الأمر بالإحسان في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ \* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ النحل: ٩٠

قال تعالى:

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ البقرة: ١٩٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ القصص: ٧٧

و يرتفع القرآن بمرتبة الإحسان، حتى يضعه في أعلى غايات خلق الله للكون. فقد جعل الله الإحسان من الحكم التي من أجلها خلق الله الإنسان. يقول الله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الملك: ١ - ٢

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُّمُوبِينَ ﴿٧﴾ هود: ٧

و بذلك تمتد أبعاد الإحسان المكتوب تكليفاً، لتتلائم سلوك الإنسان في أبعد آفاق هذا السلوك، و تصبح معلماً مُميّزاً، من معالم السلوك الإسلامي. و يكون إحسان العمل - أي عمل - بالإتيان به مستوفى تاماً، دون نقص أو خلل، همماً من هموم الإنسان المسلم في كل شأن من شؤونه.

الإحسان يكون في كل شيء، ابتداءً بالفعل البسيط، كذبح شاة، يكون انطلاق المسلم، على أساس إجرائه على مقتضى التوحيد، فيكون الذبح باسم الله، الذي خلق و أنبت اللحم، و رزق استحق الحمد و الشكر، و مقتضى الرحمة بالذبيح المُسخر لخير الإنسان، بإحداد الشفرة، و تحسين الأداة بيد الذابح.

و يكون الإحسان أيضاً في أعلى درجات الإيمان و في العبادات و الخشية من الله عز و جل. و قد سطر سلفنا الصالح بأقوالهم و أفعالهم أفضل الأمثلة و الأسوة الحسنة لكيفية هذا

الإحسان، حتى باتوا كأنهم يراقبون الله في كل سَكَاتِهِمْ و حَرَكَاتِهِمْ فُضِرُوا بِأَقْوَالِهِمْ و أَعْمَالِهِمْ أَحْسَنَ الْأَمْثَلَةِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْمُرَاقَبَةِ لِلذَّاتِ و لِلأَفْعَالِ، و كَأَنَّهُمْ أَتَاءُ تَأْدِيَتِهِمْ أَعْمَالَهُمْ كُلُّهَا مِنْ عِبَادَاتِ و غَيْرِهَا فِي مُرَاقَبَةٍ تَامَةٍ لِلَّهِ عِزٌّ و جَلٌّ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: خَفِيَ اللَّهُ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، و اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ.

قَالَتْ بَعْضُ الْعَارِفَاتِ مِنَ السَّلَفِ: مَنْ عَمَلَ لِلَّهِ عَلَى الْمُشَاهَدَةِ، فَهُوَ عَارِفٌ، و مَنْ عَمَلَ عَلَى مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، فَهُوَ مُخْلِصٌ.

فَمَقَامُ الْإِخْلَاصِ، و هُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى اسْتِحْضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، و أَنَّهُ عِزٌّ و جَلٌّ مُطْلَعٌ عَلَيْهِ، و قَرِيبٌ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا الْمَقَامَ فِي عَمَلِهِ، و عَمَلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ، لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ فِي عَمَلِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ و إِرَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ بِالْعَمَلِ.

و مَقَامُ الْمَشَاهَدَةِ، و أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى مَقْتَضَى مُشَاهَدَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ، و هُوَ أَنْ يَتَنَوَّرَ الْقَلْبُ بِالْإِيمَانِ، و تَنْفُذَ الْبَصِيرَةَ فِي الْعِرْفَانِ، حَتَّى يَصِيرَ الْغَيْبُ كَالْعَيَانِ.

و هَذَا هُوَ حَقِيقَةُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، و يَتَفَاوَتُ أَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ فِي بَحْسَبِ قُوَّةِ نَفُوزِ الْبَصَائِرِ.

و قَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى مَعْنَى قُرْبِ اللَّهِ عِزٌّ و جَلٌّ مِنْ عِبَادِهِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا إِنِّي فَسَّحْتُ لِمَنْ يُدْعُو﴾

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ البقرة: ١٨٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

المجادلة: ٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَاتُوسُّوسٌ بِهِ نَفْسَهُ<sup>ط</sup> وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ ق: ١٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ<sup>ع</sup>

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧٨﴾﴾ النساء: ١٠٨

و قد وردت الأحاديث الصحيحة كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري بالنَّدبِ إلى استحضار هذا القرب في حال العبادات، كقوله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّمَا يَنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ. و قوله صلى الله عليه وسلم للذين رفعوا أصواتهم بالذكر: إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا. و في رواية: وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

و قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا مَعَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَ أَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي، فَإِنِ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَ إِنِ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَ إِنِ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَ إِنِ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَ إِنِ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمٌ وَ غَيْرُهُمَا.

قال بكر المزني من أئمة التابعين: مَنْ مَثَلَكُ يَا بَنَ آدَمَ: خُلِّيَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الْمِحْرَابِ وَ الْمَاءِ، كَلَّمَا شَتَّتْ دَخَلَتْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ. أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ.

و من وصل إلى استحضار هذا، في حال ذكره الله و عبادته استأنس بالله، و استوحش من خلقه ضرورةً. فأعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، و تستأنس إليه بقلبك، و عقلك، و جميع جوارحك حتى لا ترجو إلا ربك، و لا تخاف إلا ذنبك، و ترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئاً، فإذا كنت كذلك لم تُبال في بَرِّ كُنْتَ، أو في بحرٍ، أو في سهلٍ، أو في جبلٍ، و كان شوقك إلى لقاء الحبيب شوقَ الظمان إلى الماء البارد، و شوقَ الجائع إلى الطعام الطيب، و يكونُ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَكَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَ أَحْلَى مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الصَّافِي عِنْدَ الْعَطْشَانِ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ.

اللهم اجعلنا من المحسنين، من الذين يسمعون الكلام فيتبعون أحسنه. اللهم آمين.

اللهم اهدنا في من هديت و عافنا في من عافيت و تولنا في من توليت و بارك لنا فيما أعطيت و قنا شر ما قضيت فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت تباركت ربنا و تعاليت، و لا منجا منك إلا إليك.

اللَّهُمَّ اقْسِمْنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا . رواه الترمذي و قال حسن غريب و صححه الألباني

اللهم توفنا مع الأبرار، و لا تجعلنا مع الأشرار، و قنا عذاب النار، و ألحقنا بالأخيار.  
اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها. و خير أعمالنا خواتيمها، و خير أيامنا يوم نلقاك.  
اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، و من عذاب القبر، و من فتنة المحيا و الممات، و من شر فتنة المسيح الدجال.

اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات.  
اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.  
اللهم اجعل هذا البلد آمناً و سائر بلاد المسلمين.  
اللهم كن لإخواننا المستضعفين في مشارق الأرض و مغاربها. اللهم كن لهم و لا تكن عليهم.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

الأحزاب: ٥٦

اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار.

و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون (٤٥)

سورة العنكبوت